

الفصل الأول

ظهور المغازى

فى الأدب العربى ميادين ثلاثة ، ينبغى أن تعدّ مصادر لأقوال النبى وأفعاله ، وهى كتب الحديث ، والسيرة ، والتفسير . والعنصر الرئيسى فى كل واحد من هذه الميادين ، هو الرواية المسندة ، التى ترد فى كل منها بصورة واحدة ، صورة متن الحديث يتقدمه الإسناد . ولكن الكتب المنتمية للميادين الثلاثة يختلف بعضها عن بعض ، فى نظام عرض المجموعة الكبيرة من الروايات المسندة التى تضمها ؛ فمجموعات الحديث ترتبها على حسب الموضوعات ، (كما فى المصنفات التى منها الكتب السنة) ؛ أو على حسب أسماء الصحابة الذين تُرفع لهم الأحاديث ، (كما فى كتب المسانيد ، كسند أحمد بن حنبل) أما كتب السيرة فتورد الروايات مرتبة على السنين ، بحسب وقوع الحوادث التى تشير إليها الأحاديث ؛ وأما كتب التفسير بالمأثور ، فتوردها شرحاً للآيات القرآنية التى تتصل بموضوعها .

ومن الطبيعى ألا تحوى الكتب الممثلة لكل من الميادين الثلاثة مادة متحدة فى كل منها ؛ وإنما تختلف كثيراً فى اختياراتها من تلك المادة الواسعة ؛ باختلاف أشخاص مؤلفيها وميولهم الخاصة من ناحية ، ومقياس النقد الذى يصطنعونه للتحقق من صحة الروايات من ناحية أخرى . ومهما يكن بينها من فرق أو اختلاف فإن الكتب التى تعدّ أكمال المجموعات فى مادة الحديث ، فى أى ميدان من الميادين الثلاثة ، مثل « كتاب

المغازي « للواقدي من جهة ، و « مسند » أحمد بن حنبل من جهة أخرى ،
يشتمل معظمها على أحاديث مشتركة بينها ، فقلما نجد حديثا عند الواقدي
ولا نجده في مسند أحمد بن حنبل . وهناك محاولة جديرة بالذكر لجعل جميع
المادة المجموعة في كتب الحديث والسيرة في متناول الأيدي بصورة موجزة في
الكتاب الرائع المسمى Handbook of Early Muhammadan Tradition
« موجز في الأحاديث النبوية الأولى » الذي ظهر أخيرا بفضل الأستاذ
قسنك Prof. Wensinck الذي خدمنا خدمة عظيمة بنشره في لندن .
وإذا أمكن في المستقبل جمع كل الأحاديث المذكورة في تفسير الطبري ،
فإنه يصبح من السهل بحث المسائل المهمة في جميع الميادين الثلاثة ، على
أساس ما أخذته من مادة الحديث .

وقد شرع الناس في الجيل التالي للصحابة : جيل التابعين ، يجمعون
روايات أقوال النبي وأفعاله التي كانت شائعة في عصرهم ؛ وإذا كانت مادة
أحاديث عدد من الصحابة المدونة في الصحائف والكتب مشكوكا في
صحتها وقيمتها^(١) ، فإنه لا يوجد شك في أن مثل هذه الكتب كانت
نادرة في جيل التابعين ، الذين أخذوا معارفهم عن الصحابة . ووجد بين
التابعين أناس يعتبرون علماء بالمغازي ، وهي الحروب ، وينبغي أن نقصر معنى
هذا اللفظ على المعنى الخاص بأعمال النبي والصحابة الحربية ، وإن كان
يطلق في الغالب على سيرة النبي جميعها . وسنتكلم فيما يلي عن هؤلاء العلماء

(١) جمع جولد تسبير Goldziher قدرا من هذه الأحاديث ، انظر : دراسات
إسلامية ، المجلد الثاني ، الصفحة ٩ ، ومجلة جامعة المستنيرين الألمان ، المجلد ٧١ ،
الصفحة ٤٣٨ .

بالمغازي خاصة من التابعين ، وعن مدوناتهم . ولكننا لن نقف عند هذا الجانب وحده من نشاطهم ، بل نجمع كذلك كل الأخبار الهامة التي نقف عليها مضافة إليهم . وسنتناول في فصل آخر أو اثنين العلماء بالمغازي في الجيل التالي ، جيل تابعي التابعين . وأخيرا نتناول أقدم السير الشاملة لحياة النبي ، أعني سير ابن إسحاق ومعاصريه ، وكذلك الواقدي وابن سعد .

أبان بن عثمان

ويتبغى أن نبدأ بذكر أبان بن الخليفة عثمان وأمِّ عمرو بنتِ جُنْدَب^(١) ، فهو أول من اشتهر بمعرفة المغازي معرفة دقيقة ، وهو ممن ولد قبل سنة ٢٠ للهجرة لابعدها ، لأنه كان في عام ٥٣٦ هـ قد بلغ من العمر ما مكّنه من الاشتراك في خروج^(٢) عائشة وطلحة والزبير لطلب بئار عثمان (توفي سنة ٥٣٥ هـ) ؛ وفي أسماء الحملة أرسل لعائشة يسألها عن رأيها في مصير بعض الأسرى^(٣) . ويظهر أنه لم يسفد إليه أي عمل في الأربعين سنة التالية ، إلى أن عينه الخليفة عبد الملك واليا على المدينة عام ٥٧٥ هـ^(٤) . على أن تولية أبان على المدينة لم تكن من الخليفة في بادئ الأمر ، وإنما سببها أن سلفه عليها كان فيه حق ، فخرج إلى دمشق وافدا على الخليفة عبد الملك بغير إذن منه قبل خروجه ، واستخاف أبانا على المدينة ، ففضب عبد الملك عليه ، وصرفه وأقر أبانا^(٥) . واستمر أبان في ولايته على المدينة سبع سنوات ، حتى عام ٥٨٣ هـ ، فعزله عبد الملك^(٦) ؛ وفي أثناء ولايته عليها كان الخليفة يعهد إليه كل

(١) الطبري ١ : ٣٠٥٦ . (٢) نفس المرجع ١ : ٣١٠٤ .

(٣) نفس المرجع ١ : ٣١٢٦ . (٤) نفس المرجع ٣ : ٨٧٣ .

(٥) ابن سعد ٥ : ١١٢ . (٦) الطبري ٢ : ١١٢٧ .

عام بإمارة الحج^(١) . ولما لم يأت إليه أمر الخليفة في عام ٨١ هـ بسبب مشاغل الحرب ، تطلع والى مكة للتشرف بإمارة الحج ، فتمسك أبان بأولويته بالإمارة ، لسببه وقرابته^(٢) .

وقد توفي في ولايته بعض كبار المدينة ، من أمثال جابر بن عبد الله الصحابي ، ومحمد بن الحنفية ، وعبد الله بن جعفر وهو ابن أخي علي* ، فكان أبان هو الذي يحل عليهم^(٣) . ولا تعرف عنه بعد ذلك من الأخبار الرسمية إلا أنه تميم قاضي جديد^(٤) ، وعاقب مربي العُمَّلة^(٥) ، وزاد في صاع أهل المدينة^(٦) . وقد سُئل قبل وفاته بعم .

وتختلف الأقوال في تاريخ وفاته فيرى البخاري في «التاريخ» أنه توفي في عهد الوليد (٨٦-٨٩٦ هـ) ، ويرى ابن سعد أن وفاته في عهد يزيد الثاني (١٠١-١٠٥ هـ) ، بل يذهب بعضهم أنها في نهاية عهد يزيد الثاني (١٠٥ هـ) .

ويذكر أبان بين فقهاء المدينة^(٧) ، فيروى أنه كان يحفظ تناوي أبيه^(٨) ، وتنفى روايات أخرى سماعه الأحاديث عن أبيه^(٩) .

ولأبان شهرة حسنة بين المحدثين ، فيذكرون أن أبا الزناد والزُّهري أخذوا عنه الحديث ، وكذلك ابنه عبد الرحمن . ومع أنه يتكرر اسمه كثيرا في أسانيد الأحاديث ، فإنه لا يوجد في كتب السيرة ؛ فلا نجد ذكره أبدا

-
- (١) الطبري ٢ : ٩٤٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٦ ، ١٠٨٥ .
(٢) الأغاني ٣ : ١٠٧ . (٣) الطبري ٣ : ٢٢٣٩ ؛ ابن سعد ٥ : ١١٣ .
(٤) ابن سعد ٥ : ١١٣ . (٥) البلاذري : الفتن ٢٧٠ .
(٦) الواقدي ، ترجمة وهوزن Welhausen ٢٨٨ .
(٧) التناوي ١٢٥ ؛ ابن حجر : تهذيب ١ : ٩٧ .
(٨) ابن حجر : نفس المرجع . (٩) نفس المرجع .

عند ابن إسحاق أو الواقدي أو ابن سعد^(١) (في الجزء المخصص لسيرة النبي من كتابه) . نعم إن ابن سعد^(٢) يسند خبرا عن أسير العباس وبعض الهاشميين الآخرين في بدر إلى أبان بن عثمان ، ولكن الإسناد (أبان عن معاوية بن عمار ، عن جعفر بن محمد المتوفى عام ١٤٨ هـ) يبين أنه ليس المراد أبان ابن الخليفة ، وإنما المقصود المؤلف الشيعي ، أبان بن عثمان البجلي^(٣) . وقد أنف أبان هذا كتابا عالج فيه « المبدأ والمبعث والمغازي » وامله هو الذي وصفه ياقوت في « معجم البلدان » « بصاحب المغازي » . ولكن أبانا الذي نعنيه وهو ابن الخليفة ، غي ذلك بالمغازي عناية خاصة .

وذكر ابن سعد^(٤) المغيرة بن عبد الرحمن فقال : « كان ثقة قليل الحديث إلا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيرا ما تقرأ عليه ، ويأمرنا بتعليمها^(٥) » . وكان المغيرة هذا في جيش مسندة الذي توجه عام ٩٦ هـ^(٦) إلى آسيا الصغرى ووصلته أوامر عمر الثاني [ابن عبدالعزيز] بالرجوع في عام ٩٩ هـ^(٧) ؛ ولا يمكن أن يأخذ المغيرة المغازي إلا من أبان بن عثمان الخليفة ، لامن أبان بن عثمان البجلي ، الذي

(١) يذكر ابن سعد أبانا خارج السيرة عند ذكره الكلمات الأخيرة من عمر ، التي سمعها (أبان) من والده ؛ ويذكره ابن قتيبة (كتاب الشعر والشعراء) على أنه راوى الخبر القائل بأن البردة التي أعطاها النبي كعب بن زهير اشتراها معاوية ، وكان يلبسها الحكام في المواسم .

(٢) ٤ : ٢٩ ؛ انظر أيضا الطبري ١ : ١٣٤١ .

(٣) فيك : Fuck (محمد بن إسحاق) ٨ : الفلاحفة ٢٧ .

(٤) ٥ : ١٥٦ . (٥) ابن سعد : نفس المرجع ١٨٥ .

(٦) الطبري ٢ : ١٣٠٥ . (٧) نفس المرجع ١١ : ١٣٤٦ .

عاش بعد ذلك بحيلين أو ثلاثة . وليست هذه المغازي ، التي رواها المغيرة عن أبيان ، كتابا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وإنما هي مجموعة من الأخبار المتعلقة بسيرة النبي ؛ ويظهر أنه لم يبق لنا شيء من تلك المجموعة التي لعلها كانت تمائل الصحائف والكتب المذكورة آنفا .

وعلى كل حال يجب ذكر أبيان على أنه أول من دوّن مجموعة خاصة تتناول المغازي . حقا أن المدينة لم تعد بعد مقتل عثمان عاصمة الأبراطورية العربية ، ولكنها ظلت مدة طويلة مقر عاصمة القوم من العرب ، من أبناء المهاجرين المكيبين ، والأنصار المدنيين ، وأنصار بني أمية الذين قبضوا على أزيمة الحكم في دمشق منذ ذلك الوقت .

ولم تقصر عناية أهل المدينة على العلوم الدينية وحدها ، بل عنوا أعظم عناية بالموسيقى والشعر .

ومن الخطأ أن يظن أنه لا توجد صلوات بين العلماء والشعراء ، وأن علماء الدين كانوا جميعا معادين للشعر . بل وجد في المدينة نفسها أعلام من العلماء الدينيين قد برزوا في قول الشعر ، وأشهر مثل لذلك تتحقق فيه هذه الصلة ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، حفيد عتبة بن مسعود ، وهو ممن حارب مع النبي في أحد .

وقد خصص أبو الفرج الأصفهاني في « كتاب الأغاني » فصلا لعبيد الله هذا ، وأورد طائفة من شعره ^(١) ، وفعل مثل ذلك ابن سعد أيضا في « طبقاته » ^(٢) ؛ وهو معدود من فقهاء المدينة السبعة ، وحينما تيمم بحب هذلية

(١) كتاب الأغاني ٨ : ٩٢ — ١٠١ . (٢) ٥ : ١٨٥ .

حناء ، دعا الفقهاء الستة الآخرين في أشعاره التي يخاطبها بها ، ليشهدوا
على قوة حبه الذي برّح به ، قال ^(١) :

أَحْبَبْتُكَ حَبًا لَوْ عَلِمَتْ بَعْضُهُ لُجَدَّتْ وَلَمْ يَصْغَبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ
وَحْبِكَ - يَا أُمَّ الصَّبِيِّ - مُدَهَّيْ شهيدى أبو بكر ، وأنى شهيدِ
وَيَعْلَمُ وَجَدَى الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعُرْوَةَ مَا أَلَقَى بِكُمْ ، وَسَعِيدُ
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سَلِيمَانَ عَلَيْهِ وَخَارِجَةَ يُبْدِي لَنَا وَيُعِيدُ
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتُخْبِرِي فَلَا حُبُّ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ

ومن هؤلاء الفقهاء المشهورين من لم يشتهر بقول الشعر ، ولكن اشتهر
بتذوق الفن الشعري في عصره ونقده ؛ مثل أحد الفقهاء الستة الذين ذكروهم
عبيد الله شهودا على حبه ، أعنى سعيد بن المسيب ، وهو ابن امرأة أبي هريرة
وأحد أركان علم الحديث ، فحينما حياه نوفل بن مساحق ، وهو في مجلسه
بمسجد المدينة وحوله تلاميذه ، سأله : أىُّ أشعر : أعبد الله بن قيس
الرقيات ، أم عمر بن أبي ربيعة ^(٢) ، والتفت عبد الله بن قيس نفسه إلى
سعيد ، واستفتاه في شعره الأخير ^(٣) . وفي « كتاب الأغاني » ^(٤) « خبر بين
قدر إيجاب هذه الجماعات بالكلام البليغ في جميع الظروف . فيروى عبد الله
ابن عمر : « خرجت حاجا ، فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام زفت فيه .

(١) الأغاني ٨ : ٩٦ . الشهداء السبعة عم : أبو بكر بن عبد الرحمن ، والقاسم
ابن محمد ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد ،
وعبد الله نفسه .

(٢) الأغاني ١ : ٥٠ . (٣) الأغاني ٤ : ١٦٣ .

(٤) نفس المرجع ١٧ : ١٢٠ .

فأدريت ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أمة الله ، ألسنتِ حاجبة ؟ ! أما تخفين الله ؟ فسقرت عن وجه يتهر الشمس حسنا ، ثم قالت : تأمل ، يا عمي ، فإني ممن عنى العرجى بقوله :

من اللاء لم يخججن يبتغين حسيمة ونكس^(١) يفتن البرى ، أغفلا
قال : فقلت لها : مهلا ، فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار .
قال : وبلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقال : أما ، والله لو كان من بعض
بغضاء العراق لقال لها : اعزبي ، قبحك الله ! ولكنه ظرف عبادة
الحجاز » .

لم نبعد كثيرا عن موضوعنا بإتمام هذا الخبر ، كما يبدو ، لأن سعيدا يستحق الوقوف عنده قليلا في هذا المقام ، إذ ينبغي أن نشكره لقوله القيم بأن المغازي كانت موضوعا محببا للحديث في مجتمع أشراف المدينة . فهو يقول كما في الطبري^(١) : « بينا نحن عند مروان بن الحكم » ومن الواضح أن ذلك كان زمن ولاية مروان على المدينة ، وربما كان عام ٥٦ هـ « إذ دخل حاجبه ، فقال : هذا أبو خالد حكيم بن حزام . قال : ائذن له . فلما دخل حكيم بن حزام ، قال : مرحبا بك ، يا أبا خالد ، اذن ، فحال له مروان عن صدر المجلس ، حتى كان بينه وبين^(٢) الوسادة . ثم استقبله مروان ، فقال :

حدثنا حديث بدر . قال : خرجنا ... » وكذلك فعل عبد الملك بن مروان بعد أن صارت إليه الخلافة ، فكان يسأل كبار التابعين عن أخبار بدر .

(١) الطبري ١ : ١٣١٣ . (٢) كذا في الأصل . وفي رواية في هامش

الطبري : « بينه وبينه الوسادة » ، وهي أقرب إلى الفهم - ح

والتراجع مرة أخرى إلى أبان ، ولئن تدهش بعد ما قيل عن ميون الفقهاء
والحدثين الأعلام إلى الثمن الشعري ، إذ سمع أن أبان أيضا كان محبا للشعر .
يقول أبو الزناد^(١) إنه قلما كان في صحبته دون أن يسمعه يتمثل بأشعار الربيع
ابن أبي الحقيق ، شاعر المدينة اليهودي :

سئمت وأمسيت رهنا الفراء ش من جرم قومي ومن مكرم
ومن سفيه الرأي بعد النهي وعيب الرشاد ولم يفهم
قلو أن قومي أطاعوا الحليما لم يتعدوا ولم يظلم
وانكبن قومي أطاعوا الفوا ة حتى تعكس أهل الدم
فأودى السفية برأى الحليما وانتشر الأمر لم يبرم

ويقول يزيد بن عياض^(٢) إن أبانا لم يخطئ ، وهو وال على المدينة ،
إلا في سماحه لعبد الله بن جعفر ابن أخى على المذكور آنفا ، بالذهاب إلى
بلاط دمشق حين رضى عبد الله أن يبعث إليه غلامه الزامر . ويوصف
أبان أيضا بأنه رجل يميل للدعابة والفكاهة^(٣) ، ويورد « كتاب الأغاني »

(١) الأغاني ٢١ : ٩٢ . (٢) الأندلسي : الأنساب ، تحقيق آلورد Ahlwardt ٢٠٩ .
(٣) الأغاني ١٧ : ٥٢ . — ابن هرمة عن أبيه ، قال : كان أبان بن عثمان
يبنى أهزل الناس وأعيبهم . وبلغ من عيبه أنه كان ينهى بالليل إلى منزل رجل في أعلى
المدينة له لقب بغضب منه ، فيقول له : أنا فلان بن فلان ، ثم يهتف بلقبه . فيشتهمه
أقبح شتم ، وأبان يضحك . فيبئنا نحن ذات يوم عنده ، وعندده أشعب ، إذ أقبل
أعرابي ، ومعه حمل له ، والأعرابي أشقر أزرق أزرع عصبوب ، يتلظى كأنه أفعى ،
وتبين الشرف في وجهه ، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره . فقال أشعب لأبان : هذا ،
والله من البادية ، ادعوه . فدعى وقيل له : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك . فأتاه
فسلم عليه . فسأله أبان عن نسبه ، فانسب له فقال : حياك الله يا خالي ، حبيب ازداد

مثالاً لهذا الميل .

حيناً . فجلس . فقال له : إني في طلب رجل مثل جفك هذا منذ زمان ، فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة ، وهذه القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ، فأحمد لله الذي جعل ظهري به من عند من أحبه ، أتبيعه ؟ فقال : نعم ، أيها الأمير . فقال : فأبى الله بذات لك به مائة دينار . وكان الرجل يساوي عشرة دنانير ، فطمع الأعرابي ، وسر ، وانتفخ ، وبان السرور والطمع في وجهه . فأقبل أبان على أشعب ، ثم قال له : ويلك ، يا أشعب ! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك — يعني الطمع — فأوسع له مما عندك . فقال له : نعم ، بأبي أنت ، وزيادة . فقال له أبان : يا خالي ، إنما زدتك في الثمن على بصيرة ، وإنما الرجل يساوي ستين ديناراً ، ولكن بذات لك مئة لقلة النقد عندنا ، وإني أنطيك به عروضاً تساوي مئة . فزاد طمع الأعرابي . وقال : قد قبلت ذلك ، أيها الأمير . فأسر إلى أشعب ، فأخرج شيئاً مفضى ، فقال له : أخرج ماجئت به . فأخرج جرد عمامة خز خلق ، تساوي أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا أشعب . فقال له : عمامة الأمير تعرف به ، ويشهد فيها الأعياد والجمع ، ويلقي فيها الخلفاء ، خمسون ديناراً . فقال : ضمها بين يديه . وقال لابن زبيح : أثبت قيمتها . فكتب ذلك ، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي ، فكاد يدخل بعضها في بعض غيظاً ، ولم يقدر على الكلام . ثم قال : هات فلسوتى . فأخرج فلسوة طويلة خلقة ، قد علاها الوسخ والدهن ، وتخرقت ، تساوي نصف درهم . فقال : قوم . فقال : فلسوة الأمير تعلق هامته ، ويصلى فيها الصلوات الخمس ، ويجلس للحكم ، ثلاثون ديناراً . قال : أثبت . فأثبت ذلك ، ووضعت الفلسوة بين يدي الأعرابي ، فتردد وجهه ، وجحظت عيناه ، وهم بالوثوب ، ثم تأسك وهو متقلل . ثم قال لأشعب : هات ما عندك . فأخرج خفين خفيين خلقين قد نقبا وتفسرا وتفتقا . فقال له : قوم . فقال : خفا الأمير يطأ بهما الروضة ، ويعلم بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أربعون ديناراً . فقال : ضمهما بين يديه . فوضعهما ، ثم قال للأعرابي : اضمم إليك متاعك . وقال لبعض الأعوان : اذهب نخذ الرجل . وقال آخر : امض مع الأعرابي ، فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً . فوثب الأعرابي ، فأخذ القماش ، فضرب به وجوه القوم ، لا يألوا في شدة الرمي به . ثم قال له : أندري — أصلحك الله — من أي شيء أموت ؟ قال : لا . قال : لم أدرك أباك عثمان ، فأشترك والله في دمه ، إذ ولد مثلك . ثم نهض مثل المجنون ، حتى أخذ برأس بعيره . وضحك أبان حتى سقط ، وضحك كل من كان معه . وكان الأعرابي بعد ذلك ، إذا أتى أشعب يقول له : هلم إلي ، يا ابن الحبيشة ، حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم . فيهرب أشعب منه — ح .

عروة بن الزبير

لم يمتض غير قليل على مولد أبان ، حتى ولد عروة بن الزبير ، الذي كان مثله في المعرفة بالمغازي . وقد وصل إليها من مجموعاته عدد كبير من الأحاديث بخلاف الحال عند أبان .

ينسب عروة أيضاً إلى طبقة الأشراف السابقين إلى الإسلام ، وافتخر عروة بانتسابه إلى أشرف نساء الصدر الأول من الإسلام في جوابه عن عبارة للحجاج جارية^(١) ، وقد حدث بينهم نقاش حوالى عام ٥٧٥ هـ ، وهاك ماجرى : « وقد عروة مع الحجاج ، فقال يوماً : قال أبو بكر يعني أخاه عبد الله ، فقال الحجاج : لا أم لك ، أنكنتي منه فقا عند أمير المؤمنين ! فقال له : ألى تقول : لا أم لك ، وأنا ابن عمار الجنة ؟ أمى أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وجدتي صفية بنت عبد المطلب ، وخالتي عائشة ، وعمتي خديجة بنت خويلد » . وكان العوام جد عروة أخا خديجة . وكان أبوه الزبير من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وأخوه عبد الله الذي ذكرناه آنفاً ، قائد أبناء المهاجرين والأنصار الذين لم يرضوا خلافة يزيد ، وحكم في مكة من عام ٦٤ - ٧٣ هـ . وكان عروة يصغر عبد الله بكثير من السنين ، وقد تلقى عبد الله أبناء مولد أخيه الأصغر عند مراجع عام ٢٦ هـ إلى المدينة من الحملة الإفريقية^(٢) . ولم يستطع عروة أن يشترك في معركة الجمل (٣٦ هـ)

(١) البلاذري : الأنساب ٦٣ .

(٢) الأغاني ٦ : ٥٩ . وقال ابن أبي خيثمة (في ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٤)

إن عروة « كان يوم الحار ابن ثلاث عشرة » . وإذن مولده في عام ٢٣ هـ .

التي اتى فيها أبوه حَتْفَه ، إذ لم يُسمح للصبي ، الذي كان في العاشرة من عمره بالاشتراك فيها ، على حين اشترك فيها أبان الذي يكبره قليلاً^(١) . فبقى عروة عندئذ في بلدته . ويذكر اسمه لأول مرة في حادث سيامي ، هو انتقام خالد بن المهاجر ، ابن أخي عبد الرحمن بن خالد المقتول ، من قاتله^(٢) .

وكان عروة يجتمع كل ليلة في نظام ببعض أصدقائه في مسجد المدينة ، في الأعوام الأخيرة من عهد معاوية (٤١ - ٦٠ هـ) ، أي بعد عام ٥٥ هـ بقليل . ويقول قبيصة^(٣) وكان عضواً في هذه الجماعة ، وأصبح فيما بعد موضع ثقة الخليفة عبد الملك ، إن من أعضائها مصعباً أخا عروة ، وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وعبد الملك بن مروان ، وعبد الرحمن بن مسوّر ، وإبراهيم بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن عبد الله ، علاوة على قبيصة نفسه وعروة^(٤) . ووعت الرواية ، كما رواها لنا ابن خلدان^(٥) ، تلك الاجتماعات الليلية ،

ولكنه وهم فأضاف اسم عبد الله بن الزبير إلى أسماء المشتركين ، على حين ترك الأسماء غير المهمة ، يقول : « إن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان ، وعبد الله بن الزبير . وأخويه مصعب وعروة المذكور ، أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان . فقال بعضهم : هلم فلنتمنّه . فقال عبد الله بن الزبير : أمنيته أن أملك الحرمين وأنال الخلافة . وقال مصعب : أمنيته أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قرّيش : سُكَيْنَةَ بنت الحسين وعائشة

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ . انظر الطبري ١ : ٣١٠٣ إلى ٣١١٣ .

(٢) الطبري ٢ : ٨٢ . انظر أيضاً لمر Lammer : دراسات عن خلافة معاوية

الأول ، ٣ : ٢١٨ وما بعدها . (٣) هو قبيصة بن ذؤيب الخزازي .

(٤) البلاذري : الأسباب : ٢٥٧ .

(٥) الوفيات ، طبعة بولاق ١ : ٣٩٩ ، في ترجمة .

بنت طلحة . وقال عبد الملك بن مروان : أُمْنِيَّتِي أَنْ أَمْلِكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا ، وَأَخْلَفَ مَعَاوِيَةَ . فَمَاتَ عُرْوَةُ : نَسْتُ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَتَمُّ فِيهِ ، أُمْنِيَّتِي الرَّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، وَالْقَوْزُ بِالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنْ أَكُونَ مِمَّنْ يُرَوَى عَنْهُ الْعِلْمُ . قَالَ : فَصَرَفَ الدَّهْرَ مِنْ صَرْفِهِ ، إِلَى أَنْ يَبْلُغَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَمَلِهِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَذَلِكَ يَقُولُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عُرْوَةَ بْنِ الرَّبِيعِ » .

وقد قطع عروة إقامته في المدينة بسبع سنين غابها في مصر ، ويقول عنها عروة نفسه « أُمْتُ » - كذا يقول عُرْوَةُ كَمَا فِي الْبَلَادِرِيِّ (١) - « بمصر سبع سنين ، وتزوجت بها ، فرأيت أنها مجاهد ، قد تحمل عليهم فوق طاقتهم : وإيما فتحها عمرو بصلح وعهد ، وشيء مفروض عليهم » . وإذ كنا نعلم (٢) أن عروة كان في مصر حين خلع أخوه طاعة للخليفة يزيد وأن الوالي الذي عينه عبد الله عام ٦٤ على مصر اضطر إلى تركها في العام التالي ، فإننا قد نستنتج أن الأعوام السبعة التي قضاها عروة في مصر كانت من ٥٨ - ٦٥ هـ . وفي أثناء محاربة عبد الله للخليفة وقف عروة في صف أخيه وحين قتل أخوه مصعب عام ٧٢ هـ في الحرب من أجل عبد الله ، ولى عروة تركته (٣) ، واستمر مع أخيه في أثناء محاصرته في مكة (٤) . وبعد مقتل عبد الله وضياع قضيته (٧٣ هـ) ارتحل عروة مباشرة إلى عبد الملك الخليفة ، الذي لم يكن يتنازعه حينئذ أحد ، والذي اعتاد عروة أن يلتقيه لقاء مستمرا

(١) الفتوح ، تحقيق دي غوجا ٢١٧ .

(٢) الأجنح : طبقات الشعراء ، تحقيق عل Hal : ٣٥ .

(٣) الأغانى ١٤ : ١٦٨ . (٤) البلاذري : الأنساب : ٤٧ .

في مسجد المدينة في الأعوام الأخيرة من عهد معاوية ، كما رأينا . وهناك عدة روايات^(١) في المراجع الرئيسة عن رحمة عروة إلى عبد الملك ، ولكنها تروى هنا رواية عبد الله بن فائد :

« ركب عروة ناقة لم يدرك مثلها ، فقدم الشام قبل قدوم رسل الحجاج بقتل عبد الله بن الزبير على عبد الملك ، فأتى باب عبد الملك ، فاستأذن له ، فلما دخل سلم بالخلافة ، فرد عليه عبد الملك ، ورحب به وعانقه ، وأجلسه على المنبر . ثم قال عروة :

تَمَّتْ بِأَرْحَامِ إِلَيْكَ قَرِيبَةٌ وَلَا اقْرَبَ لِلْأَرْحَامِ مَا لَمْ تَقْرَبْ
ثم تحدث حتى جرى ذكر عبد الله ، فقال عروة : إن أبا بكر^(٢) بن . فقال عبد الملك : وما فعل ؟ قال : قتل رحمه الله . نخر عبد الملك ساجدا ، فقال عروة : فإن الحجاج صلبه ، فهب جثته لأمه . قال : نعم . وكتب للحجاج يعظم ما بلغه من صلبه ، وكتب إليه : إياك وعروة ، فقد آمنت . فكان مسيره من الشام راجعا إلى مكة ثلاثين يوما ، فأنزل الحجاج جثة عبد الله عن خشبته ، وبعث بها إلى أمه ، فقساته ، فلما أصابه الماء تقطع ، فقالت : قيسل لي في المنام ، يا أم المقطع ، فكنت أظنه المنذر ، لأنه جُدِّع بالسيوف ، ولم أظنه ابني . فقساته عضوا عضوا ، فاستمسك ، ودفنته ، وصلى عليه عروة . » .

(١) الواقدي في البلادري : الأنساب ٦٥ . نفس المرجع ٦١ ؛ أمير بن حفص نفس المرجع ٦٣ ؛ المنذرى عن عبد الله بن سعيد ، نفس المرجع ٦٢ .
(٢) كنية عبد الله . وقد ذكرنا قبل اعتراض الحجاج على استعمالها في الحديث مع الخليفة . (وبان : فارق ، ويكنى بها عن قتله — ح) .

وعامل عبد الملك عُروّة بالاحترام الذي كان يتوقعه منه ، ولكن
عُروّة تألم من بعض الدمشقيين ، كما يخبرنا ابنه هشام^(١) . فبينما كان عرووة
جالساً مع عبد الملك ، إذ جاء قوم ، ووقعوا في عبد الله بن الزبير ، فخرج
عُروّة قائلاً للحاجب : « إن عبد الله بن الزبير ابن أُمِّي وأبي ، فإذا أردتم
أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم » . فلما سمع ذلك عبد الملك قال : « إن
أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة ، ولكنه طلب أمرا وطلبناه ، فقتل دونه ،
وإن أهل الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحداً إلا شتموه ، فإذا أذنا
لأحد قبلك ، فقد جاء من يشتمه ، فلا تدخل . وإذا أذنا لأحد وأنت
جالس ، فانصرف » .

ولانعلم شيئاً عن أية زيارة أخرى من عرووة لعبد الملك ، غير أنهما كانا
يتبادلان الرسائل الأدبية بعد عودة عرووة إلى المدينة .

ثم ارتحل عرووة إلى دمشق مرة ثانية بعد ارتقاء الوليد العرش في عام
٨٦ هـ^(٢) ، وكان معه ابنه وصديق أسرته الشاعر إسماعيل بن يسار^(٣) ، وقد
لاحق النحس عرووة في هذه الزيارة الثانية لدمشق . فقد سقط ابنه من
سطح مشرف على إصطبلات الوليد ، وكان يطل منها يرى ما فيها من
الدواب ، فوقع وسطها وكانت هائجة ، فما زالت تركله حتى مات ، واضطرت
عُروّة نفسه إلى قطع رجله ، بسبب فساد في عظامها .

وقد حفظ كتاب الأغاني^(٤) القصيدة التي نظمها إسماعيل بن يسار

(١) الأغاني ١٦ : ٤٥ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ١١٤ . توفي عرووة في عام ٩٤ هـ .

(٣) الأغاني ٤ : ١١٩ . (٤) الأغاني طبع بولاق ١٦ : ٤٥ .

في رثاء محمد، وفيه كذلك رواية هشام بن عروة لهذه الحوادث المؤلمة^(١) قال :
« ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شكك رجله ، فقبل له :
اقطعها . قال : إني لأكره أن أقطع مني طائفا . فارتفعت إلى الركبة ،
فقبل له : إنها إن وقعت في الركبة قتلتك . فقطعت ولم يثبض وجهه .
وقبل له قبل أن يقطعها : استمك دواء لا تجد معه الماء ، فقال : ما يستعمل
أن هذا الخائط وقاني أذاها [و] سقط محمد بن عروة بن الزبير ، وأمه
بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية ، من سطح في اصطبل دواب الوليد
ابن عبد الملك ، فضرته بقوائمها حتى قتلتها ، فأتى عروة رجل يعزيه ،
فقال عروة : إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها . فقال : بل أعزيك
بمحمد . قال : وماله ؟ فخبره بشأه ، فقال :

و كنت إذا الأيام أحدثن هالكا أقول شومي ، ما لم يصبن حميمي
اللهم ، أخذت عضوا وتركت أعضاء ، وأخذت ابنا وتركت أبناء ،
فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت ، وإن كنت ابتليت لقد عافيت . فلما
قدم المدينة نزل قصره بالعميق . »

وتخبرنا عدة روايات أخرى^(٢) نفس خبر قطع رجل عروة ، ومنها
الرواية التالية^(٣) : « إن عيسى بن طامحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم
من عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قطعت رجله ، فقال عروة لبعض بنيه :

(١) الأغاني ١٦ : ٤٥ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ١٤ : ابن خلكان ١ : ٥٦٨ : الذهبي : تهذيب

٥ ، عروة أيضا .

(٣) ابن الماجشون في كتاب الأغاني ، ١٦ : ٤٦ .

أكشف لعمك عن رجلي ينظر إليهما . ففعل . فقال له عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ، ما أعددتك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك : رأيك وعلمك . فقال عروة : ما عزاني أحد عن رجلي مثلك .»

وكان عروة يتردد على أمير من أمراء الأمويين ، وهو عمر بن عبد العزيز في أثناء ولايته على المدينة (٨٧ - ٩٣ هـ) . وكان عروة أحد الفقهاء العشرة الذين استدعاهم عمر^(١) بعد أن ولي المدينة ، وينسب ابن سعد أحد الأحاديث النبوية التي ذكرها عمر في الأيام التي كان يبني فيها مسجد المدينة (٨٨ هـ) لعروة^(٢) . ومع ذلك عارض عروة الوالي معارضة عنيفة حين كذب قوله : إن عائشة لم تحب أحداً أكثر من حبها لعبد الله بن الزبير ، ما عدا النبي ووالديها^(٣) . ولم يكن عروة نفسه يميل إلى إذكاء نار الخصومة بين الآراء الداخلية للجماعة الإسلامية ؛ ويروي أنه كان يقول^(٤) : « كان علي أتقى لله من أن يعين في قتل عثمان ، وكان عثمان أتقى لله من أن يقتله علي » . وكان عروة يجتمع كل مساء بيهض أحفاد علي . وهو علي بن الحسين (توفي عام ٩٢ أو ٩٤ هـ) في الجزء الخلفي من مسجد النبي ؛ ويروي عبد الله ابن حسن حديثاً لعروة مع علي اشترك فيه عبد الله نفسه^(٥) . قال : « فتحدثنا ليلة » - في عهد عبد الملك أو الوليد - « فأكره جوار من جار من بني أمية

(١) الضبري ٢ : ١١٨٣ .

وإنا دعاهم ليكونوا مستشارين له في الأحكام -- ح .

(٢) ٣ أول : ٨٢ . (٣) الأغاني ٨ : ٩٣ .

(٤) التبريد : الكامل ٤٤٤ . (٥) ابن سعد ٥ : ١٣٥ .

والمقام معهم ، وهم لا يستطيعون تغيير ذلك ثم ذكر أبا مخنفان من عقوبة الله لهم ، فقال عُرْوَةُ الْعُلَيَّ : يا عليّ ؟ إن من اعتزل أهل الجور ، والله يعلم منه سُخْطَهُ لأعمالهم ، فإن كان منهم على ميل ، ثم أصابتهم عقوبة الله ، رُجِيَ له أن يسلم مما أصابهم . قال : فخرج عُرْوَةُ فسكن العقيق^(١) ، قال عبد الله : وخرجت أنا فنزلت سُوَيْبَةَ . وتشبه العبارات المنسوبة هنا لعروة عن حكم الأمويين الجائر ، أن تكون دفاعاً عن موقفه من حكام دمشق ، الذين لم يعطهم طاعته ، والذين ظل مرتبطين بهم حتى في المدينة ، أمام كثير من المتدينين .

وليس لدينا خبر يقيني عن سنة وفاة عُرْوَةَ ؛ ولكن معظم الثقات يذكرون أنه توفي عام ٩٤ هـ^(٢) . وقد مات في ضيعته في بُجَاح بجوار الفُرع ، وقد ذكرنا أننا من أبنائه محمداً وهشاماً أكثر من مرة . ونعرف أسماء ستة أبناء آخرين غيرها^(٣) .

ويشتهر عُرْوَةُ شهرة كبيرة بمعرفته الحديث ، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة ، وقد مكنته إقامته بها من الإلمام بكثير من الأخبار عن الأيام الأولى من الإسلام خاصة ؛ عرفها من والده ومن أمه ومن عائشة أكثر من غيرها ، وكان لا يقطع زيارتها وسؤالها . ويخبرنا مجاهد^(٤) عن تصته حين سأل هو وعروة ابن عمر عن عدد عمّر النبي ، ثم ذهب عروة لعائشة ، حين لم يشفهما جواب ابن عمر ، فأجابتهما بجواب آخر .

(١) كان في العقيق بئر ، يعرف باسم بئر عروة . انظر : معجم البلدان ١ : ٤٣٣ ؛ ابن قتيبة : المعارف ١١٤ .
(٢) ابن سعد ٥ : ١٣٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٩١٤ ؛ البخاري : تاريخ .
(٣) ابن قتيبة : المعارف ١١٤ . (٤) الطبري ١ : ١٧٦٥ .

و يستحق ابنه هشام ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري عناية خاصة من بين هؤلاء الذين رووا عن عروة الأحاديث التي جمعها .

وقد روى لنا ابنه هشام^(١) أن أباه عروة أحرق كتبه في الفقه في يوم الحرّة (٦٣ هـ) ، التي هزم فيها يزيد أهل المدينة ، وقد حزن على فقدانها كثيرا فيما بعد . ولا نجد أية إشارة^(٢) إلى كتب أخرى علّق عليها أو وجدت عنده .

ولم يقتصر عروة على تلقين تلاميذه الأخبار التي تلقاها عن الثقات الذين أخذ عنهم ؛ بل دوّن معلوماته عن حوادث الصدر الأول من الإسلام ووصل إلينا بعض رسائله المدونة في كتب ابن إسحاق والواقدي والطبري . والمحاطب بتلك الرسائل في القطع الواردة في الطبري هو الخليفة عبد الملك في الغالب ، وأما في القطع الأخرى فالمحاطب ابن أبي هنيّدة ، الذي عاش في كنف الخليفة الوليد . وكان عبد الملك في شبابه يجالس الفقهاء^(٣) ، وكان مشغوقا^(٤) بالتزود من علمهم . فكان يحفظ فتاوى الخليفة عثمان عن ظهر قلب ، وسمع الحديث من أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وبعض الصحابة الآخرين^(٥) ، فلم يكن من الغريب إذن أن يتجه نظره إلى المدينة التي كان يعرف لها منزلاتها^(٦) في رواية الأحاديث ، وبيّحت عن التزود

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ .

(٢) الذهبي : تهذيب (ت) . فيشر Fischer : تراجم رجال روى عنهم ابن إسحاق .

(٣) ابن سعد ٥ : ١٦٧ . (٤) نفس المرجع ١٧٤ .

(٥) ابن سعد ٥ : ١٧٤ .

(٦) نفس المرجع ٥ : ١٧٣ .

بأخبار المغازي من عروة ، وقد يَسَّرت له إقامته بالمدينة من قبل أن يعرف أنه أوثق الناس فيها ، وكان قد حاز رضاه منذ انتهت ثورة عبد الله .
والقطعة الأولى^(١) من أجوبة عروة لعبد الملك كانت عن الهجرة إلى الحبشة ، ويتصدرها إسناد مفصل تجرى نهايته كما يلي : « أبان العطار قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان ... »
ونجد الإسناد نفسه في قطعة ثانية^(٢) ، غير أنه يقول في آخره : « عن عروة أنه قال » ولم يقل : « كتب إلى عبد الملك » ، ومع ذلك لا يخامرنا أي شك في أننا أمام قطعة من كتاباته إلى عبد الملك ، لأن هذه القطعة يتصل ما فيها بما في القطعة الأولى ؛ فتبدأ بالهجرة إلى الحبشة التي سببتها الفتنة الأولى ، ثم تضيف إلى ذلك قصة هجرة الصحابة والنبي إلى المدينة ، التي سببتها الفتنة الثانية ؛ ويستعمل عروة لفظ « فتنة » في هذه القطع معتمدا على السورة ٨ : ٣٩ . ويشير إلى نفس الآية ثانية في القطعة التالية^(٣) ، التي تحكي هجرة النبي نفسه . وهناك نفس الإسناد أيضا ، بيد أنه يوجد لفظ « قال » بدلا من لفظ « كتب إلى عبد الملك » ، ومن الواضح أن الفقرات الثلاث مأخوذة من رسالة واحدة أرسل بها إلى عبد الملك . ثم نجد الأمر أكثر وضوحا ، إذ يصرح في إسناد شبيهة بالماضي^(٤) : « ثنا هشام بن عروة

(١) الطبري ١ : ١١٨٠ .

(٢) نفس المرجع ١ : ١٢٢٤ .

(٣) نفس المرجع ١ : ١٢٣٤ .

وتقول الآية : « وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير » - ح .

(٤) الطبري ١ : ١٢٨٤ .

عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد : فإنك كتبت إلى في أبي سفيان ومخرجه ؛ تسألني كيف كان شأنه ... » . ثم يلي ذلك وصف مُفَصَّل لموقعة بدر يبدأ بما يلي : « كان من شأنه أن أباسفيان ... » ، ويستمر في حديثه . ويشير عروة هنا أيضا إلى الآيات كثيرا ، وتجري لتقديم في قطعة أخرى كما يلي ^(١) : « ثنا هشام بن عروة عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألني عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح ، وبأمر من أغار ؟ » .

ويبدأ الجواب قائلا: « وإنه كان من شأن خالد » ، ويستمر في حديثه ، ولذلك لا نشك هنا أيضا حينما لا نجد في القطعة التالية ^(٢) ، عن نفس الإسناد غير « ثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال » في أننا أمام قطعة أخرى من الجواب لعبد الملك ؛ لأن الكلمات الأخيرة من القطعة المتقدمة ^(٣) ترد هي بنصها في بداية هذه القطعة ؛ ومن الواضح أن فقرة أخرى من نفس الرسالة إلى عبد الملك توجد أمامنا في قطعة أخيرة ^(٤) . وقد حفظ الطبري أيضا جوابا قصيرا لعروة عن سؤال من عبد الملك عن تاريخ وفاة خديجة ^(٥) ، وآخر عن سؤال من الوليد : هل تزوج النبي أخت الأشعث بن قيس ^(٦) . وعلى حين يروي ابنه هشام جميع هذه الرسائل التي تحوى أجوبة عروة عن أسئلة عبد الملك والوليد ، نجد الزهري هو الذي يروي لنا نص الجواب الذي

(١) الطبري ١ : ١٦٣٤ .

(٢) نفس المرجع ١ : ١٦٥٤ .

(٣) نفس المرجع ١ : ١٦٣٦ . (٤) نفس المرجع ١ : ١٦٧٠ .

(٥) نفس المرجع ١ : ١٧٧٠ . (٦) نفس المرجع ٣ : ٢٤٥٨ .

وجهه عروة لابن أبي هُنَيْدَةَ^(١) ، صديق الخليفة الوليد ، الذي سأله عن
السورة ٦٠ : ١٠ ، فشرح له عروة المناسبة التاريخية التي تشير الآية
إليها^(٢) .

وتمثل كتابات عروة المذكورة هنا ، أقدم المدونات التي حُفِظت لنا عن
حوادث خاصة في حياة النبي ، كما تمثل أقدم نصوص النثر التاريخي العربي .
وعلى الرغم من أننا لا نجد في أي مرجع قديم^(٣) أن عروة ألف كتاباً حقيقياً
عن المغازي ، فإننا واثقون أنه جمع وأخرج مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث
في حياة النبي . بل يتضح من الفقرات التي وصلت إلينا أن عروة بنى
أجوبته المدونة على الأحاديث التي جمعها بنفسه ؛ لأنه وإن كان لا يصرح
باسم رِوَاثِهِ في تلك الأجوبة عامة ، فإنه يخرج على تلك القاعدة في خبره
عن هجرة النبي حين يذكر أنها مبنية على ما أخذه عن عائشة^(٤) . أضف إلى
ذلك أنه يجعلنا نفهم في المواضع التي يذكر فيها أقوال النبي ، أنه عرفها
بتلك الطريقة^(٥) ، ولذلك يعدّ من الخطأ القول بأن عروة كان خصماً
للأسانيد ؛ إذ تبين الرسائل نفسها أنه اتبعها ، حتى حين لم يكن في هذه

(١) ابن هشام ٣ : ٣٤٠ ؛ الطبري : تفسير ٨ : ٤٢ .

(٢) تقول الآية : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ،
اللَّهِ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتَهُنَّ وَهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَأَنْ هُنَّ حُلٌّ لَّهُمْ
وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ؛ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكَفُّوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ ، وَلَا تَمْسُكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ ، وَاسْتَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَا أَنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ
حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمٍ بَيْنِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » — ح .

(٣) انظر حاجي خليفة .

(٤) الطبري ١ : ١٢٣٥ ؛ نفس المرجع ١٢٣٧ .

(٥) الطبري ١ : ١٢٣٧ ، ١٢٨٨ ، ١٦٣٥ .

الكتابات إلا قليل العناية بذكرها . وإذن كان الإسناد في ذلك العهد - حوالى عام ٧٥ هـ - قد ظهر بصورته البسيطة ، وليس للمرء الحق أن ينكر على عروة بدون تأمل وتحقيق لأحاديث التي رواها عن الثقات لمجرد ظهور الإسناد عرضا في رسائله .

ويتكلم عروة أكثر من مرة عن أهمية الحديث^(١) ، ولا ينسى أن يذكر أبناءه أنهم يستطيعون أن يجعلوا الناس في حاجة دائمة إليهم بمعرفتهم الحديث^(٢) ؛ ويخبرنا ابنه هشام أن عروة لم يقل في شيء قط برأيه^(٣) ، وإنما كان يُعَوَّل على الحديث . وقد وصل إلينا عدد كبير من أحاديث عروة ؛ وأكثر من روى عنه ابنه هشام والزهرى . ويجد رواياته في مجموعات الأحاديث كما نجدتها في كتب السيرة ، وقد حفظ لنا ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري عدة أحاديث عن عروة ، وتأخذ أقدم سير النبي التي بأيدينا جزءا كبيرا جدا من مادتها من مجموعاته . وإذا كان بعض هذه الأخبار قد نسب إليه خطأ ، فليس لدينا ما يجعلنا نشك في انتماء معظمها له . وغالبا ما تكون روايته في تلك الأخبار عن عائشة إلى جانب روايته عن غيرها من صحابة النبي . ومع ذلك توجد طائفة كبيرة من الأحاديث لا يذكر عروة روايتها ؛ ومن الحق أن الإسناد كان قد أصبح عادة في عصره ، ولكنه لم يكن ضربة لازب . أضف إلى ذلك أن عروة رجع أيضا إلى وثائق مكتوبة ؛ فيذكر مثلا نص الرسالة التي وجهها النبي لأهل حَجْر^(٤) . وتُعنى

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ . (٢) ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٢ .

(٣) ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٣ . (٤) البلاذرى : فتوح ١٧٩ .

الأخبار المروية عن عروة بجميع أجزاء حياة النبي ، كما تُعنى أيضا بحوادث عهد الخلفاء الأولين .

ومن الخطأ أن نظن أن عروة قصر اهتمامه على معرفة أقوال النبي والأخبار الخاصة بحياته . فعلى الرغم من كونه فقيها ومحدثا - كما كثير من أمثاله - كان معنيا برواية الشعر وحفظه . يقول أبو الزناد عنه ^(١) : « مارأيت أروى للشعر من عروة ، فقيل له : ما أرواك ، يا أبا عبد الله ! فقال : مارأيت في رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا » . وحتى إذا لم نصدق اقتداءه بعائشة ، واعتبرناه إنما ذكرها ليدال على إباحة الاقتباس من الشعر في المغازي ، فإننا لانشك في أن عروة كان محبا للشعر . وقد كان على صلوات حسنة بإسماعيل بن يسار الشاعر ^(٢) ، الذي صحبه في وفادته على عبد الملك والوليد ، والذي رثى محمد بن عروة . كما كان أيضا ذا صلوات طيبة بشاعر قریش الغزَل ، عمر بن أبي ربيعة ^(٣) ، ولكنه كان يسيء الظن بشاعر النبي الخالص حسان بن ثابت ^(٤) .

أضف إلى ذلك أن الميل للشعر امتد إلى أشخاص آخرين من آل بيته . فأظهر أخوه عبد الله ، الذي اتهم ^(٥) بانتحال بعض أبيات معن بن أوس ، أنه كان عالما بالشعر ^(٦) ؛ واشتهر أخوه جعفر بأنه شاعر ؛ وله فصل خاص في « كتاب الأغاني » فيه بعض أبيات يخاطب بها عروة ^(٧) . وحفظ

(١) الذهبي ، انظر فيشر : تراجم . (٢) الأغاني ٤ : ١١٩ .

(٣) نفس المرجع ١ : ٦٤ . (٤) نفس المرجع ٤ : ١٥ .

(٥) المبرد : الكامل ٣٥٧ . (٦) الضمير ٢ : ٣٩٧ .

(٧) الأغاني ١٣ : ١٠٥ وما بعدها .

«كتاب الأغاني»^(١) «مقطوعة تهكمية نظمها عروة نفسه في عائشة بنت طلحة بمناسبة حجها . ولا يخجل عروة في نفس الأخبار التاريخية المروية عنه من رواية الأشعار»^(٢) المنسوبة إلى هؤلاء المشتركين في الحوادث ؛ ولذلك يوجد بعض الصدق في قول أبي الزناد . وقد نستنتج أن عروة أدخل أشعار المشتركين في الحوادث ، حتى في الأحاديث الخاصة بسيرة النبي التي رواها لتلاميذه ، كما فعل ابن إسحاق فيما بعد .

شُرْحَبِيل بن سعد

الاسم الثالث الذي يذكر في تاريخ المغازي ، مع أبان وعروة اللذين ينتميان لأشراف المسلمين ، اسم مولى ، هو شُرْحَبِيل بن سعد ، مولى بنى خَطْمَةَ المدنيّين ، ويقال إنه عرف علياً^(٣) (المتوفى عام ٤٠ هـ) ، ومات هو عام ١٢٣ هـ^(٤) ، وقد تئف على المئة ، كذا يقال . ومن الصحابة الذين أخذ عنهم الأحاديث زيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري^(٥) . وقد تحدث شرحبيل نفسه عن إقامته في أرض زيد بن ثابت في الأسواف^(٦)

(١) نفس المرجع ١٠ : ٦٠ .

(٢) الطبري ١ : ٢٣٤٨ ، الأغاني ٣ : ١٥ .

(٣) ابن حجر : تهذيب ٤ : ٣٢١ وما بعدها . (٤) نفس المرجع .

(٥) ابن سعد ٥ : ٢٢٨ ؛ ابن حجر ٤ : ٣٢١ الذهبي ، ت فيشر (مجلدة

جامعة المستشرقين الألمان ٤٤ : ١٢ وما بعدها) .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٢٦٩ .

ورهن^(١) موسى بن عقبة أن شرحبيل دون قوائم بأسماء المهاجرين إلى المدينة ، وأسماء الرجال الذين اشتركوا في وقعتي بدر وأحسد . وصرح سفيان بن عيينة^(٢) بأنه لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدرين منه ، ولكنه اختل عقله^(٣) بعد كبره ، ولم يكن يصدقه أحد بسبب فقره ، أعنى أنهم كانوا يخافون^(٤) إذا جاء إلى الرجل فلم يعطه ، أن ، يقول : « لم يشهد أبوك بدرا » ، أو كما يقال في موضع آخر^(٥) : « وكان من أعلم الناس بالمغازي ، فاتهموه أن يكون يجعل من لا سابقة له سابقة ، وكان قد احتاج فأسقطوا مغازيه وعلمه » . ولما سمع بهذا موسى بن عقبة قال : « وإن الناس قد اجترءوا على هذا » . وعلى حين يقف موسى بن عقبة هكذا إلى جانبه ، كان ابن إسحاق من خصومه ، وقد أجاب^(٦) حين سئل عنه : « وأحدٌ يحدث عن شرحبيل ؟ ! » .

(١) ابن حجر ١٠ : ٣٦١ .

يروى ابن حجر الخبر كالاتي : « كان شرحبيل أبو سعد عالما بالمغازي ، فاتهموه أنه يدخل فيهم من لم يشهد بدرا ، وفيمن قتل يوم أحد من لم يكن منهم ، وكان قد احتاج فسقط عند الناس ؛ فسمع بذلك موسى بن عقبة ، فقال : « وإن الناس قد اجترءوا على هذا ! فدي على كبر السن ، وقيد من شهد بدرا وأحدا ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة ، وكتب ذلك » . ويدل هذا الخبر بوضوح على أن كاتب القوائم هو موسى بن عقبة ، وليس شرحبيل بن سعد كما فهم المؤلف — ح .

(٢) ابن حجر ٤ : ٣٢١ . (٣) ابن سعد ٥ : ٢٢٨ .

(٤) ابن حجر ٤ : ٣٢١ . (٥) الذهبي : نفس المرجع ٤٣٧ .

(٦) ابن حجر ٤ : ٣٢١ .

وليدست الأخبار في المواضيع الأخرى في جانب شرحبيل ، ولكنها ليست كلها كذلك ، فإن ابن حبان يذكره بين الثقات . ولا يروى عنه ابن إسحاق أو الواقدي شيئاً . أما ابن سعد^(١) فيأخذ عنه خبراً عن هجرة النبي من قباء إلى المدينة ، ولا يذكر شرحبيل في هذه الفقرة أي إسناد ، ولكننا لانستطيع أن نستنتج منها أن تلك طريقته في كل ما روى ، ويتضح من هذا النص أنه لم يقصر نفسه على المغازي بالمعنى الخاص .

وَهَبُ بْنُ مُنْبِهٍ

كان علماء المغازي الثلاثة الذين ذكرناهم حتى الآن - أبان ، وعروة ، وشرحبيل - من المدينة ، وقد قضوا حياتهم فيها ؛ أما الرابع : وهو وهب ابن منبه^(٢) ، الذي يُعد في التابعين ، ومن نفس الجيل ، فكان من جنوب بلاد العرب ، وهو من أصل فارسي ، من إحدى الأسرات الفارسية التي استقرت في جنوب بلاد العرب ، في العصور الجاهلية ، تحت حكم كسرى أنوشروان ، وعرفوا بالأبناء ؛ وكان جد وهب الأكبر يلقب بالاسوار ، وقد اعتنق إسلام عام ١٠ هـ بناء على قول واضح الخطأ للواقدي^(٣) ، ومعناه أنه ولد قبل الهجرة . ولا يمكن كذلك أن ثقب بقول عبد الله بن سلام^(٤) الذي نقله ابن الزديم في الفهرست : إن وهباً من أهل الكتاب

(١) ابن سعد ١ : ١٦٠ .

(٢) للبحث عن وهب ، انظر ليدزبارسكي Lidzbarski .

(٣) الطبري ١ : ١٧٦٣ . (٤) نفس المرجع

الذين أسلموا . والأكثر احتمالاً أنه ولد مسلماً ، وأمل قول الواقدي لا يعنى إسلام وهب نفسه ، وإنما يعنى إسلام والده منبه ، الذى يحتمل أنه دخل فى الإسلام عام ١٠ هـ . وليس لدينا ما يدعو إلى الشك فى القول بأن وهبا ولد عام ٣٤ هـ^(١) ، ذلك القول الذى يلائم مانعرفه من الأخبار الأخرى عن حياته .

وتذكر ذمار بجوار صنعاء ، على أنها مسقط رأسه ، ويذكر من إخوته همام ومَعْقِل وعَيْلان . وتوجد إشارة فى التعلية^(٢) إلى حديث بين معاوية وهب ، كما يقال إن الخليفة الوليد عثر على حجر عليه نقوش غير عربية^(٣) فى أثناء بناء مسجد دمشق (عام ٨٧ هـ) فأرسله إلى وهب لقراءته . وتولى وهب القضاء فى بلده مدة من الزمن ؛ ويروى سماك بن الفضل^(٤) حادثة وقعت فى ذلك العهد ، يقول : « كنا عند عروة بن محمد - يعنى أمير اليمن^(٥) - وإلى جنبه وهب بن منبه ، فجاء قوم فشكوا عاملهم ، وذكروا عنه شيئاً قبيحاً ، فتناول وهب عصاً كانت فى يد عروة ، فضرب بها رأس العامل حتى سال دمه . فضحك عروة ، وقال : تعب علينا أبو عبد الله الغضب . وهو بغضب ! فقال : مالى لا أغضب ، وقد غضب الذى خلق الأحلام ، وقال (السورة ٤٣ ، الآية ٥٥) : فلما آسفونا (أغضبونا) انتقمنا منهم . »

(١) ابن حجر ١١ : ١٦٨ . (٢) صاحب كتاب عرائس المجالس فى قصص الأنبياء ج

(٣) المسعودى : مروج ، ط . بولاق ٢ : ١١٩ .

(٤) الذهبى ، ت فى شهر ٤٤٠ .

(٥) يظهر أن اسم هذا الأمير اليمنى غير معروف فى الكتب الأخرى . وربما

كانت ولايته فى الفترة بين عامى ٥٧ - ٧٣ هـ ، التى لا تعرف فيها أسماء ولاية اليمن .

ونعرف من الأهمية الخاصة التي يحملها وهب للأحلام ، أنه هنا يصف الله خاصة بأنه خالق الأحلام ، وقد اشتهر وهب بأنه «صادق الأحلام» ، وقد ظن وهب أنه فقد هذه الموهبة فيما بعد حين^(١) قبل أن يلي القضاء . ولم ينفرد وهب بهذا الظن ؛ فكثيرا ما نقرأ عن رجال من ذوى الدين كرهوا قبول أعمال خافوا من ممارستها على ورعهم وصفاء نفوسهم . ويوصف وهب في موضع آخر بأنه رجل يعيش عيشة زاهدة^(٢) ؛ فيقال «لبث وهب ابن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه الروح ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءا ... لبث أربعين سنة لم يرقد على فراش» . ويقال إن وهبا كان من المتمسكين بعقيدة القدر^(٣) فترة من الوقت ، ولكنه رفضه فيما بعد ، لأنه يناقض الوحي . وكان في عام ١٠٠ هـ في مكة^(٤) ولقى فيها طائفة من الفقهاء المشهورين . وحُبس في الأعوام الأخيرة من عمره ، لأسباب لا نعرف عنها شيئا ، غير أن وهبا تقبل الحبس راضيا لدينه^(٥) وقال : «أحدث [الله] لنا الحبس ، فأحدثنا له زيادة عبادة» . ومن المعروف أن الحبس كان نتيجة لأمر من الوالى يوسف بن عمر الثقفي

(١) الذهبي : نفس المرجع ٤٤٠ .

ولكن المؤلف هنا أساء فهم عبارة وهب ، إذ أنه يعنى بالأحلام العقول لا الرؤى ، وإن كان هذا لا يعنى عدم اهتمام وهب بالأحلام والرؤى - ج .

(٢) الذهبي : نفس المرجع ٤٣٩ ، ابن سعد ٥ : ٣٩٦ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ الذهبي ٤٤٠ .

(٤) الذهبي ٤٤٠ . (٥) الذهبي ٤٤٢ .

الذي حكم العيين من عام ١٠٦ إلى ١٢٠ هـ ، وضرب وهبا في عام ١١٠ هـ حتى أشفى على الموت ، لأسباب غير معروفة أيضا^(١) .

ويعرف وهب في المصادر بأنه ثقة ، ويقال إنه روى عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة وغيرهم ؛ ولكن لم يُقبل الرواة على الأخذ عنه إلا في النادر ، بخلاف غيره من تابعي المدينة ؛ وقد قتل البخاري حديثا يرويه وهب عن أخيه همام عن أبي هريرة ؛ ولكن قلما يوجد هذا الإسناد في الروايات الكثيرة المنسوبة لوهب في المواضع الأخرى من الأدب العربي^(٢) .

ويختلف وهب عن المدنيين فيما يلي : أنه يُعنى عناية خاصة بأحاديث أهل الكتاب ؛ وقبل أن ندخل في موضوع مغازي وهب ، يجب أن نلقي نظرة على الكتابات الأخرى المنسوبة له ، والتي تُعنى خاصة بتاريخ أهل الكتاب ، أو تاريخ وطنه (العين) . وتؤيّد^(٣) معرفة وهب الدقيقة بأحاديث أهل الكتاب بالروايات القائلة ، إنه قرأ ٧٠ ، أو ٧٢ ، أو ٧٣ ، أو ٩٢ من كتبهم المقدسة . وإذا كانت مثل هذه الدعاوى لا تستحق التصديق ، كما تبين قوائم الكتب المقدسة المشار إليها ، فإننا نجدُ موقنين أن وهبا عرف ماتحمويه كتب اليهود والمسيحيين المقدسة ، عن طريق وصلاته

(١) الذهبي ٤٤٢ ؛ ابن حجر ١١ : ١٦٨ . لمعرفة عام وفاة وهب انظر معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ ، وابن سعد ٥ : ٣٩٦ .

(٢) باستثناء الطبري ١ : ٤١٦ .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣٩٦ ؛ لدرزبرسكي ٤٤ وما بعدها .

باليمنيين من أهل الكتاب ؛ الذين كثر عديدهم في جنوب بلاد العرب ،
ويوافق كثير من أقوال وهب مافي المصادر اليهودية والمسيحية تمام الموافقة
وتخالفها في بعض الأحيان . وتشمل أخباره جميع ميدان « أحاديث الأنبياء
والعباد وأحاديث بني إسرائيل » كما يقول ابن سعد^(١) ، وقد نمت وكثرت
بما زاد فيها تلاميذه ، الذين كان من بينهم بعض أعضاء أسرته ، وجدير
منهم بالذكر حفيده عبد المنعم ، لحفظه المادة التي جمعها وهب ، و « كتاب
المبتدأ » لوهب ، الذي استغله الثعلبي في كتابه « عرائس المجالس » من
رواية عبد المنعم عن وهب ، وهو ينسب إليه على أنه مؤلفه^(٢) . وأما العنوان
« المبتدأ » فيشير إلى مبتدأ الخلق^(٣) ؛ ولكن الرسالة لا تصور تاريخ أصل
الجنس البشري طبقا لأخبار أهل الكتاب فحسب ، بل قصص الأنبياء
أيضا ، أي تاريخ الرسالات القديمة .

ويُعتبر وهب من الثقات المعتمدين في قصص الأنبياء خاصة ، ولكنه
تناول كذلك تاريخ العباد ، أي الأولياء الذين لم يصلوا إلى مرتبة النبوة ، كما
يقول ابن سعد ، وحين ينسب حاجي خليفة^(٤) إلى وهب أيضا رسالة
في قصص الأخيار ، فإننا قد نظن أن هؤلاء الأخيار هم عباد ابن سعد .
وينسب حاجي خليفة لوهب أيضا « كتاب الإسرائيليات » ويظهر

(١) ابن سعد ٧ : ٩٧ . (٢) الفهرست ٩٤ .

(٣) انظر ابن قتيبة : المعارف ٤ حيث يذكر « مبتدأ الخلق وقصص الأنبياء »

على أنه « الفن الأول من فنون المعارف » .

(٤) رقم ٩٤٣٦ .

أنه لم يكن يُعرف بذلك الاسم في العهود القديمة . فلا يقول ياقوت^(١) مثلا عنه إلا أن وهبا « كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات » فهو يستعمل الكلمة ليصف مصادر وهب الإسرائيلية . ومن المحتمل أن الرسالة التي أعطاها حاجي خليفة هذا الاسم هي « كتاب التبتدا » ، وأنها لم تشتهر بالإسرائيليات إلا في زمن متأخر . وعلى كل حال ، نجد عند المؤرخين المتأخرين مجموعة من الأخبار من رسالة لوهب تسمى « الإسرائيليات » . لكن لما كان يعزى إليه كثير من الروايات غير الصحيحة ، فإننا لسنا كبيرى الثقة بهذه الأقوال ، على أنها غير كافية لإعادة تكوين « إسرائيلييات » وهب المشار إليها - إن كان قد كتب حقيقة كتابا بذلك الاسم - كما حاول شوقان V. Chauvin^(٢) أن يفعل . ومن المؤكد أن وهبا لم يهتبس في « مبتدئه » من الأخبار اليهودية وحدها ، بل اقتبس من المسيحية كذلك ، كما تدل الروايات الكثيرة عند ابن قتيبة ، والطبرى ، والمسعودى ، والثعلبى وغيرهم . بل الحق أن الأخبار المنسوبة له في مثل هذه الكتب القديمة ، كثيرا ما يعارض بعضها بعضا . ومن الواضح أن أخباره لا بد أن يكون عرض لها منذ عهد مبكر كثير ، من أنواع التحريف والتغيير في النسخ المختلفة ، ومن المحقق أن العلماء لم يبحثوا بعد جميع أنواع القصص المشكوك في أصلها مما ينسب إليه . وقد استخرج ابن قتيبة بعض

(١) معجم الأدياء ٧ : ٢٣٢ .

(٢) في « النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة » ، ٥٧ .

الخلافاً بين بعض أخبار وهب وسفر التكوين الأصلي ، ولكننا نرى فيما رواه ابن هشام بآية ذقة يأخذ وهب النص من الكتاب المقدس . وتفسير مثل ذلك الاختلاف أنه إما أن تكون الأخبار التي جمعها وهب قد غيرها أولئك الذين نشروها في بعد ، وجعلوها على نمط أخبار القصاص الشعبيين ، وإما أن وهباً نفسه أجرى مثل هذا التغيير .

وتناول وهب في رسالة خاصة^(١) « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك » ، وهو التاريخ القديم الخرافي لوطنه اليمن ، ولم تصل إلينا هذه الرسالة ، ولكن من الواضح أن ابن هشام استعار منها مقدمة كتابه « كتاب التيجان » الذي لم يطبع حتى اليوم^(٢) . ويتبع وهب ، في كتابته التي استغلها ابن هشام ، مصادر أهل الكتاب تماماً في عرض تاريخ أصل الرجل ، ولا يذكر أسماء سفر التكوين وأشخاصه طبقاً للنص العبري الأصلي بحسب ، بل يلاحظ أيضاً تحريفات الترجمة السريانية .

ويبدو أن « فتوح » وهب ، التي يذكرها حاجي خليفة^(٣) ، غير معروفة عند غيره من المؤرخين .

ومن وجهة أخرى يذكر ابن سعد^(٤) « حكمة » وهب ، وعرف الوراق

(١) ياقوت : معجم الأدياء ٧ : ٣٣٢ .

(٢) تدارسكي ٨ وما بعدها .

طبع هذا الكتاب في حيدرآباد ، وأشرف عليه جماعة من العلماء ، وكانوا يستشيرون المستشرق كرنكو ، الذي كتب عنه مقالا كبيرا في مجلة « الثقافة الإسلامية » التي تصدر في حيدرآباد باللغة الإنجليزية ، في عام ١٩٢٨ .

(٣) رقم ٨٩٣٢ .

(٤) ابن سعد ٧ : ٩٧ ، حيث نقل عن حفيد وهب أنه كان فارساً يكتب

وهب وحكمته . ١

الأسباني أبو بكر بن خير^(١) (توفي سنة ٥٧٥هـ) نسخة من ذلك الكتاب الذي يرتفع إسناده إلى عقيل بن أخي وهب ، وقد أخذه عن عمه . ويحتوى هذا الكتاب على أقوال حكمية ، ويمثله في معناه رسالة « النوعظة »^(٢) أيضا ، التي يذكرها نفس الوراق الأسباني ؛ وينسب أبو بكر محمد بن خير وهب أيضا ترجمة للزبور « زبور داود - ص - ترجمة وهب بن منبه » . ولإكمال الموضوع نذكر « كتاب القدر » أيضا ، الذي يقال إن وهبا ألفه كما ذكر ياقوت^(٣) .

وتبعده جميع كتابات وهب التي ذكرناها حتى الآن عن المغازي ، التي نناقشها في هذا المقال ، ولكننا إذا فهمنا لفظه للمغازي بمعناها العام ، كما ينبغي ، طبقا لاستعمال اللغة في الأيام الأولى من الإسلام ، وتوسعا في لغشمل حياة النبي جميعها ، فإن كتابات وهب هذه تدخل في نطاق بحثنا . لأنها تدخل إلى سيرة النبي ، كما ترتبط بالرسائل قبل محمد . ويقول حاجي خليفة^(٤) عن وهب إنه جمع للمغازي ؛ ولكن وهبا لا يذكر في كتب السيرة القديمة مع رواية سيرة النبي ، ومع ذلك فنقول حاجي خليفة صحيح ، فقد وجد بيكر C. h. Becker بين مجموعة أوراق يزيدى شئت زينهاردت Shott-Reinhardt المحفوظة الآن في هيدلبرج ، مجلدا يرجح أنه يحوى قطعة من « كتاب المغازي » هذا . وتاريخ نسخ هذه القطعة عام ٢٢٨ هـ ؛ فهي

(١) المكتبة الأنطونية ٦ : ١٢٩ . (٢) نفس المص ٢٩٤ .

(٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ . ابن حجر ١١ : ١٦٨ .

(٤) رقم ١٢٤٦٤

ليست بعد وفاة وهب بأكثر من مئة عام ؛ وتبدأ بالعبارة : «أخبرنا محمد ابن أبي بكر أبو طلحة ، ثنا عبد المنعم ، عن أبيه ، عن أبي إلياس ، عن وهب» . ويتكرر هذا الإسناد ، الذي ينسب ما في المجلد إلى وهب ، في أثناء النص في غالب الأحيان . ولكن وهبا لا يصرح أبدا بأسماء من روى عنهم أخباره . وبذلك تؤيد قطعة هيدلبرج هذه ما عرفناه آنفا من الظاهري وغيره .

وقد عرفنا من قبل أن حفيد وهب عبد المنعم^(١) روى كتابات جده ، عن أبيه إدريس ، ولكن إدريس لم يرو الأخبار عن وهب مباشرة ، وإنما عن طريق أبي إلياس^(٢) ، الذي روى « موعظة » وهب أيضا^(٣) ، كما يقول أبو بكر محمد بن خير . وتبين لنا قطعة هيدلبرج أن وهبا لم يتناول المغازي بالمعنى الخاص ، فهي تحتوى على تاريخ العقبة الكبرى ، وحديث قریش في دار الندوة ، والاستعداد للهجرة ، والهجرة نفسها ، ووصول النبي إلى المدينة ، وغزوة بني خيصة . وإذا كنا قلنا نجد في قطعة هيدلبرج شيئا جديدا لم نجد في كتب السيرة والمغازي التي وصفت إلينا كاملة ، فإنها

(١) ورق بردي شت رينهاردت ٨ .

(٢) لم أستطع أن أجد شيئا في « كتب الرجال » عن أبي إلياس هذا ، ولكن

أبا إلياس كنية ربيب وهب ، إدريس بن سنان ، وفي تذكر في برديه هيدلبرج عامة كما يلي : عبد المنعم ، عن أبيه ، عن أبي إلياس . ح : ترجمة أبي إلياس والله عبد المنعم في تهذيب التهذيب لابن حجر ١ : ١٩٤ . وظاهر أن عبارة برديه هيدلبرج بحرفة . بزيادة « عن » الثانية .

(٣) المكتبة الأندلسية ٦ : ٢٩٤ .

تُهمننا لأسباب ، منها أنها تؤيد ما يقال من أن سيرة النبي كانت تُروى في عهد
١٠٠ هـ ، أو قبل ذلك بقليل ، كما في الكتب المتأخرة بالضميمة ، وأن
وهي لا يذكر روايته ، وإن كان يلتزمهم : وأنه يقطع القصة النثرية بإدخال
قصائد ينسبها للمشاركين في الحوادث أو لعاصريهم ، كما كانت عادة
قصاص العرب منذ قديم الزمن .